

تنمية المبادرة الإسلامية في الصوم



يقول الله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصَّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (البقرة / 183). تؤكد هذه الآية أنَّ الهدف من تشريع الصوم هو تحصيل التقوى، بأن ينطلق الإنسان ليكون الإنسان التقى في كلِّ أعماله، بحيث يراقب الله في الصغير منها والكبير، وأن تكون لديه الحساسية في أيِّ عملٍ يقوم به، ليعرف موقع رضا الله فيه وسخطه.

وعلى ضوء هذا، يمكن أن نتصوَّر أنَّ الصوم على عددٍ من أقسام، فهناك الصوم الروحي الذي يتحسَّس الإنسان فيه المعاني الروحية في نفسه عندما يصوم، وهذا ما أكدَه رسول الله (ص) في خطبته التي استقبل بها شهر رمضان في آخر جمعةٍ من شعبان، حيث أكدَ على المائتين أن يذكروا بجوعهم وعطشهم جوع يوم القيمة وعطشه، ليتذكَّر الصائم بذلك أن ليس لديه فرصة يوم القيمة ليشعُّ أو يرتوي قبل أن ينتهي الحساب، فإذا كان الحساب طويلاً، فإنَّ جوعه سوف يكون طويلاً، وهكذا في عطشه، ومن الطبيعي أنَّ الإنسان إذا عاش في نفسه حضور يوم القيمة، عاش الإحساس بخطورة المصير هناك، حيث يكون بين جنَّة ونار.

وهكذا يريد الله من الصائم ما حدّثنا به رسول الله (ص): "وَتُوبُوا إِلَيْهِ مِنْ ذَنوبِكُمْ - أَنْ يَسْتَحْضُرُ الْإِنْسَانُ فِي صومِهِ التَّوْبَةَ إِلَيْهِ، بِحِيثُ يَشْعُرُ بِخَطْوَرَةِ مَا قَامَ بِهِ تجاهَ رَبِّهِ، لِيَتَذَكَّرَ مَا ارْتَكَبَهُ مِنْ أَخْطَاءٍ فِي الْمَاضِيِّ، فِي الْكَبِيرِ مِنْ أَعْمَالِهِ وَفِي الصَّغِيرِ مِنْهَا، وَأَنْ فَتَحَ لِلْإِنْسَانِ بَابَ التَّوْبَةِ، وَلَقَدْ عَلِمَ مِنَ الْإِمَامِ عَلِيًّا بنَ الْحَسِينِ زَيْنَ الْعَابِدِينَ (ع) أَنْ نَتَحَدَّثَ مَعَهُ عَنْ طَبِيعَةِ مَعْصِيتِنَا، الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَمَرَّدًا عَلَيْهِ: "إِلَهِي، لَمْ أَعْصُكَ - حِينَ عَصَيْتَكَ - وَأَنَا بِرِبِّي تَكَ جَاحِدٌ، وَلَا بِعَقْوَبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ، وَلَا بِأَمْرِكَ مُسْتَخْفٌ"، وَلَا يَوْمِي دَمَّاً مُتَهَاوِنُ، وَلَكِنْ خَطِيئَةً عَرَضْتَ - شَيْءَ طَارِئٍ فِي حَيَاتِي - وَسُوّلْتَ لِي نَفْسِي، وَغَلَبْتَنِي هَوَى، وَأَعَا نَنِي عَلَيْهَا شَقْوَتِي، وَغَرَّنِي سَتْرُكَ الْمَرْخِي عَلِيًّا، فَقَدْ عَصَيْتَكَ وَخَالَفْتَكَ بِجَهْدِي، فَالآنَ مِنْ عَذَابِكَ مَنْ يَسْتَنْقِذُنِي، وَمِنْ أَيْدِي الْخَصَمَاءِ غَدًا مَنْ يَخْلُصُنِي، وَبِحَبْلِ مِنْ أَتَّصِلُ إِنْ أَنْتَ قَطَعْتَ حَبْلَكَ عَنِّي"، أَنْ يَتُوبَ الْإِنْسَانُ مِنْ صَفَّائِرِ ذَنُوبِهِ وَكَبَائِرِهَا - وَارْفَعُوا إِلَيْهِ أَيْدِيكُمْ بِالدُّعَاءِ فِي أَوْقَاتِ صَلَواتِكُمْ". حَاوَلَ أَنْ تَدْعُوا إِلَيْهِ قَبْلَ الصلوةِ وَفِي أَثْنَائِهَا، فِي رَكْوَعَكَ وَسُجُودَكَ وَقُنُوتِكَ، لَأَنَّ لِلزَّمْنِ مِيزَةً فِي عَالَمِ اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَرْفَعَ أَيْدِينَا بِالدُّعَاءِ، وَقَدْ أَرَادَ إِلَيْنَا أَنْ نَدْعُوهُ فِي كُلِّ مَا أَهْمَّنَا، (وَإِذَا سَأَلَكُمْ عَبَادَيْ عَنِّي فَإِنَّمَا يَقُولُونَ أُجَيْبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَمْ يَسْتَجِبُوا لِي وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِي لَعْنَاهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة/ 186)، (وَقَالَ رَبُّكُمْ إِذْ عُزِّزُونَ يَقُولُونَ أَسْتَجِبْ لَكُمْ لَكُمْ) (غافر/ 60). ولذلك، فإنّ علينا في أوقات صلواتنا وأوقات صيامنا، أن ننفتح على ربّنا، ونفتح قلوبنا بين يديه، ليطّلع سبحانه عليهما، وبرى صدق التوبة، (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّسْوِيْةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُ عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (الشورى/ 25)، وَتُوبُوا إِلَيْهِ فِي أَوْقَاتِ صَلَواتِكُمْ، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ السَّاعَاتِ، يَنْتَظِرُ إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ - فِيهَا بِالرَّحْمَةِ إِلَى عِبَادِهِ، يُحِبُّهُمْ إِذَا نَاجَوهُ، وَيُلْبِسُهُمْ إِذَا نَادَوهُ، وَيُعْطِيهِمْ إِذَا سَأَلُوهُ، وَيُسْتَجِيبُ لَهُمْ إِذَا دَعَوهُ".